

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فإن محور مشاكل العالم العربي - وهو جزء من العالم الإسلامي - هو الاحتلال الإسرائيلي (الصهيوني) الذي تسانده القوى الاستعمارية لأرض فلسطين. والأمة مطالبة بمواجهة هذا التحدي بشجاعة ومقدرة وجدية، وذلك يستلزم فهم حقيقة هذا الصراع وتكتيل جميع القوى العربية والإسلامية لمواجهة هذه الغزوة الصهيونية الاستعمارية، للأرض التي بارك الله فيها للعالمين؛ واتخاذ مواقف واضحة وعملية من إدارة هذا الصراع.

* وقد عالج الأستاذ الدكتور حامد ربيع هذا الموضوع في المقالات التي جمعناها في هذا الكتاب، والكاتب - رحمه الله - لا يناقش في هذه الصفحات المشكلة اليهودية - على اعتبار أنهم أهل كتاب - ولهم الحق أن يعيشوا في كنف الدولة الإسلامية كمواطنين لهم حق البر والقسط، يأمنون على عقائدهم وأعراضهم وأموالهم بشرط ألا يتآمروا على الدولة أو غيرهم من المواطنين؛ كما عاشوا دوماً في الأندلس - على عهد بنى أمية وآل عباس وآل عثمان(1).

* إن الذي يعنى الكاتب في تلك المقالات، ويعنى الأمة العربية والإسلامية، بل والإنسانية كلها، إسرائيل كدولة عدوانية عنصرية توسعية تسعى إلى إقامة إسرائيل الكبرى، بعد إبادة وتشريد شعب فلسطين.

ويرى الكاتب - رحمه الله - :

* ضرورة استئصال التوجه الصهيوني من إسرائيل.

* إدارة الصراع العربي الإسرائيلي يملك أساليب متعددة منها:

- الصدام العنيف، أى القتال المسلح.

- الصدام من خلال التعامل الدبلوماسي (التفاوض بهذا المعنى).

* إن المسئولين في العالم العربي قد أحققوا عام 1973 في إدارة الصراع، استناداً

فقط إلى إدارة التعامل الدبلوماسي.

(1) «الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها».

* إن دراسة هذا الصراع بقصد التعامل معه - بإدارته - يستلزم الإلمام المسبق بمجموعة عناصر:

أولاً - طبيعة الصراع وخصائصه.

ثانياً - دوائر الصراع.

ثالثاً - الأطراف المتعاملة في الصراع.

* أيها القارئ الكريم: إن إدارة الصراع العربي - الإسرائيلي، موضوع شغل حيزاً ضخماً في أبحاث الدكتور حامد ربيع - رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة - ومن هذه الأبحاث هذه الصفحات التي بين يديك والتي نشرت عام 1985، وتدور حول مسائل كثيرة منها:

- كيف نتعامل مع الوجود الصهيوني، الذي بات يتهدد الكيان العربي كله، وما يستلزمه ذلك من ضرورة فهم حقيقة الصراع، وتكتيل جميع القوى العربية لمواجهة هذا الصراع.

- إن الصراع العربي - الإسرائيلي لا يحتمل التوفيق، أو التجزئة؛ لأنه صراع مصيري.

- إن هذا الصراع لا يدور فقط حول المشكلة الفلسطينية، بل إن المشكلة الفلسطينية ليست آخر حلقة من حلقات هذا الصراع، فالعدو يهدف إلى خلق عدم استقرار في المنطقة، وتجزئتها إلى كيانات صغيرة، وخلق القطيعة العضوية بين أجزاء الوطن العربي، والاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة، واستئلال شعوب المنطقة.

- إن العدو الصهيوني لم يعلن حتى الآن حدوداً للدولة؛ لأن هذه الحدود لا ترسمها إلا لغة القوة؛ وإن العدو الصهيوني لا يحترم المواثيق الدولية.

* وإن العالم العربي يحتاج إلى أمور أربع لمواجهة إسرائيل:

أولاً - سلاح متقدم.

ثانياً - مساندة في النطاق الدولي.

ثالثاً - تكنولوجيا تسمح بإلغاء حاجز التخلف.

رابعاً - القيم المتحكمة في سلوكيات الطرف المتعامل.

وذلك بهدف بناء إطار واضح لعملية إدارة الصراع من الجانب المصري.

وذكر الكاتب - رحمه الله - :

طبيعة وخصائص الصراع العربي - الإسرائيلي :

لا يحتمل التوفيق - أى صراع مصيري - لا يحتمل التجزئة، إما أخذ الكل أو ترك

إن الأرض التي تقوم عليها إسرائيل - التي تحتلها إسرائيل - هي أرض فلسطين «وقف إسلامي؛ لأنها أرض الأقصى «بيت المقدس» التي لا يقبل الله أن يتسلط عليها الصهاينة»⁽¹⁾.

* إن العالم العربي هو - مؤقتاً - الطرف الضعيف، وعلى قيادته أن تعلم أنه لا بد في الأمد البعيد من منازلة إسرائيل في ميدان القتال العضوي، بل إن إسرائيل تُعد لحرب مع العالم العربي في فترة لا تتجاوز 1995 (أو كما حددها الكاتب حرفياً حول عام 1995).

* لذلك فإن تقوية الجيوش العربية ليس فقط لشن حرب قادمة، بل إنه أيضاً لمنع إسرائيل من أن تُقدّم على حرب جديدة.

* في كل صراع هناك أطراف متعاملة، وخلف كل منها توجد أطراف تساند أو تُدعم أو تُقوّى موقف الطرف المتعامل:

هناك قوى خارجية تعمل لحساب إسرائيل: فالقدرة الأمريكية والدبلوماسية الغربية والصهيونية العالمية جميعها تخدم تل أبيب [وكذلك حلف الأطنطى وروسيا].

* لقد استطاعت إسرائيل أن تُكثّل خلفها جميع القوى اليهودية والمتعاطفة مع الصهيونية في جميع أنحاء العالم.

* وفي المقابل فإن القوى العربية غير متماسكة، وغير متساندة في الصراع ضد إسرائيل، بل هناك من القوى العربية من تعمل لصالح إسرائيل⁽²⁾، تارة بوعي، وتارة دون وعى حقيقي.

وقد ترتب على ذلك : أن أضحي الصراع غير متكافئ الأطراف.

فبينما جميع القوى الدولية تقف خلف القضية الصهيونية، لا نجد أي قوة دولية حقيقية تساند القضية العربية، حتى دول العالم الثالث منقسمة على نفسها؛ بل وحتى الدول الإسلامية يخدمها من حيث الواقع من هو متحالف مع إسرائيل في مواجهة دول عربية أخرى.

وتحدث الكاتب « رحمه الله » أيضاً عن الأطراف المتعاملة في هذا الصراع، ومصالح كل طرف متعامل، والقيم الحقيقية المستندة خلف هذا الصراع والمتحكمة، والأطراف المباشرة في التعامل:

* إن القوة الأصلية التي تقف في هذا الصراع موقف التناطح الحقيقي هي مصر

(1) فتوى علماء الأزهر في 18 جمادى 1375هـ، في 1 يناير 1956م.

(2) «المرجعية العربية والحركات الطائفية»، «سوف أظل عربياً» مقالات لحامد ربيع بمجلة الطليعة العربية.

وإسرائيل، وإسرائيل لم توجد إلا لتشلُّ مصر، ومن الناحية الواقعية فليس في المنطقة دولة سوى مصر تستطيع أن تقف في مواجهة حقيقية مع إسرائيل.

* فمصر هي قائدة العالم العربي، وهي دولة تقع في حوض البحر المتوسط الشرقي، بل وتتحكم - وهي دولة إسلامية - إن لم تكن هي معقل الإدراك العقدي الإسلامي، وكان من الواجب على مصر القيادة إلى أن تدرك ذلك، وتعد العدة للقيام بدورها، ولكن الملاحظ - والكلام للكاتب - أن الاختلال الحقيقي في ميزان القوة بين مصر وإسرائيل ليس في خط ثابت لصالح إسرائيل، بل إن مصر (عام 1985) أسوأ حالاً في الضعف لمواجهة تل أبيب. لماذا؟

لأن خلف إسرائيل وجدت أربع قوى تؤيدها وتساندها بطريقة كاملة ومطلقة:

* الدول الاستعمارية فرنسا وبريطانيا وأمريكا.

* الرأسمالية الدولية.

* الصهيونية العالمية.

* الرأي العام الأوربي، وبصفة خاصة العربي.

وفي المقابل لم تنجح مصر في خلق كتل دولي خلفها، لم تعرف كيف تكتل العالم الإسلامي خلفها، بل إنها تركت تركيا وغيرها تقع في براثن النفوذ الصهيوني.

وذكر الكاتب أن أخطر التهديدات التي يشيرها هذا الصراع:

* خلق عدم الاستقرار في المنطقة.

* خلق القطيعة العضوية بين أجزاء الوطن العربي، وبصفة خاصة ما هو شرق سيناء وما هو غربها.

* اغتصاب أجزاء من الوطن العربي⁽¹⁾.

* تحويل المنطقة إلى مسرح للاستقطاب الدولي.

* الاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة.

* الاعتداء على الحقوق والحريات الفردية للمواطن العربي في الأرض المحتلة.

* إنكار حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

(1) كتاب «كيف نفكر استراتيجياً» لواء أ. ح. د. فوزي محمد طایل - مركز الإعلام العربي - 1997.
«ملف إسرائيل» روجيه جارودي؛ «أهداف إسرائيل التوسعية» روجيه جارودي؛ «مصر والحرب القادمة» حامد عبد الله ربيع - دار الوفاء. طبعة 1998؛ جريدة عرب تايمز عددها 107 بتاريخ 11 : 1992/12/20.

* وبهذا يتضح لنا أن الخطر الصهيوني لن يقف عند حدود فلسطين، وأن مؤتمرات السلام والمفاوضات هي وسيلة العدو لتخدير مشاعر العرب، وريثما يتم إعداد القوة اللازمة لفرض الاستسلام على الأمة العربية..

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف/ 21.

وفى موضع آخر من المقالات : فصلٌ حامد ربيع حديثه عن أخطر التهديدات التي يثيرها الصراع العربي - الإسرائيلي.

* إن إسرائيل تحرص على خلق عدم الاستقرار في المنطقة (العالم العربي)؛ لأن ذلك يسمح لها بالهيمنة على المنطقة، ويخلق مناخاً معيناً يسمح لها بالتوسع المتدرج.

والدليل أن إسرائيل لم تعلن حتى اليوم أو تحدد حدودها الدولية؛ لأن هذه الحدود لن ترسمها إلا لغة القوة - كما يتصور الصهاينة ويعتقدون.

كما أنها تحرص على تجزئة الوطن العربي. إن مفهوم التجزئة أو البلقنة (شبه جزيرة البلقان) في التصور الصهيوني لن يقتصر على العالم العربي، بل سوف يتعداه إلى جميع أجزاء منطقة الشرق الأوسط، بما في ذلك أجزاء غير العربية.

* من التهديدات التي يتعرض لها العالم العربي نتيجة الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين:

الأدوات والتعاملات غير الأخلاقية، وكذلك الممارسات المرتبطة بعملية الإفساد والتطويع للإرادة العربية مثل: [نشر المخدرات، إشاعة التحلل الجنسي، نشر الإيدز]، الاضطراب في إدارة المرافق القومية، عملية التسميم الفكرى والغزو المعنوى، التى خضعت لها كل الفئات المثقفة، ولم تترك حتى أساتذة الجامعات.

وتساءل الكاتب : هل نعاصر حرباً أخرى من حروب الهيمنة الإسرائيلية؟

وأجاب : إن اتفاقية كامب ديفيد لم تنه هذا الصراع.

والصراع العسوى قد أٌجل مؤقتاً، لكنه قابل لأن ينشب فى أى لحظة، والإعلان أن حرب 1973 هي آخر الحروب، لا يخرج فى عُرْف القانون الدولى عن إعلان نوايا، وليس التزاماً مقنناً.

الفقه الإسرائيلى واعى بذلك، وهو يصف العلاقة بين مصر وتل أبيب بكلمة ذات دلالة الحرب النائمة⁽¹⁾ Dorment war.

(1) ولعل الأحداث الحالية (أكتوبر 1998) تؤكد صحة ما قاله الكاتب المصرى - رحمه الله - وغيره، وبهذا يمكن أن نقول وقطعت جبهة قول كل خطيب.

إن إدخال أمريكا في حل الصراع العربي الإسرائيلي كان خطأ قاتلاً: فالولايات المتحدة ليست طرفاً أصيلاً، ولا محايداً، وهي لا تتعامل مع المصالح العربية بنظرة موضوعية. وليس من صالح الحَمَل أن توضع معه ذئاب، إسرائيل والولايات المتحدة. أسوأ موقف لأن توجد مصر في مواجهة إسرائيل ومعها الولايات المتحدة.

* إن التوسع الصهيوني قد يكون أفقياً (عسكرياً)، وقد يكون رأسياً بمعنى التهويد ونشر المستوطنات، وقد يكون سلمياً، بمعنى خلق المصالح المشتركة والصداقات المتعددة التي قد يكون في بعض الأحيان أخطر، أو على الأقل لا يقل خطورة عن التوسع العسكري (كما حدث في مصر).

* وعرض الكاتب - رحمه الله - لعملية إدارة الصراع وخصائصها وعلاقتها بما يسمى صنع القرار، ونبه على أهمية التمييز بين أربعة مستويات منها:

* صنع السياسة.

* وصنع القرار السياسي.

* وتنفيذ القرار.

* وإدارة الصراع المرتبط بالقرار.

وذكر الكاتب - رحمه الله - أن إدارة الصراع تعنى :

قيادة أولاً ، وموقفاً ثانياً، وقدرات ثالثاً، وأهدافاً واضحة رابعاً.

وأن القدرات التي يجب أن يوظفها القائد :

* الجيش أو الإدارة العسكرية.

* الدبلوماسية أو الجهاز الدبلوماسي.

* الإعلام وكل ما يتصل بعملية جمع المعلومات.

* القوى الداخلية.

* القوى المتعاطفة أو المؤيدة صاحبة المصلحة في النطاق الخارجي.

كما قام الكاتب بتقويم النماذج التاريخية لإدارة الصراع العربي الإسرائيلي :

* نموذج جمال عبد الناصر. * نموذج أنور السادات.

* نموذج مناحيم بيغن. * نموذج هنري كيسنجر وكيف حقق أهدافه.

وذكر أن إسرائيل، وكل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا أسهمت بشكل أو بآخر في الدفاع عن المصالح الإسرائيلية.

* إن الأمة العربية شربت السم بغزارة من أيدي الدول الثلاث (اعتداء عام 1956)، وهو تحالف بين إسرائيل وكل من فرنسا وبريطانيا.

* السلاح الذي استخدم في حرب عام (1967) كان سلاحاً فرنسياً.

حتى هذه اللحظة القدرة النووية الإسرائيلية هي نتيجة تعاون وثيق بين تل أبيب وباريس.

الذي أنفق فعلاً على حرب عام 1967 كانت ألمانيا.

وذكر الكاتب ستة مبادئ صهيونية تحكم الحركة الصهيونية في فلسطين:

* تقوية الكيان الذاتي.

* تثبيت الوجود الإقليمي.

* استئصال الوجود الفلسطيني.

* تدعيم التحرك نحو تجزئة المنطقة العربية.

* التوظيف الثابت للإدارة الإسرائيلية، في النطاق الدولي.

* توظيف التوازن الدولي لإطلاق حرية تل أبيب في المنطقة.

وذكر الكاتب أن القائد المثالي لإدارة الصراع، يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية:

* المعرفة المسبقة الواضحة بالأهداف.

* المعرفة الحقيقية بالإمكانيات.

* التوظيف المقتن المدرج للإمكانيات في سبيل تحقيق الأهداف.

* القدرة على تكتيل الإمكانيات في مسار الاستراتيجيات العامة للنضال.

* الصلاحية للتمييز الواضح بين الخطوة التكتيكية في مراحل النضال والاستراتيجية العامة والكلية الشاملة للقتال.

وذكر الكاتب أن جميع الوقائع الثابتة تؤكد أن إسرائيل وأمريكا كانت على علم بحرب العاشر من رمضان - 6 أكتوبر 1973 - قبل وقوعها، ولكنها لم تتوقع النجاح المصرى السورى.

- إن حرب رمضان - 6 أكتوبر 1973 - كانت نجاحاً عسكرياً حقيقياً، ألق جميع القيادات غير العربية المتعاملة مع المنطقة، وبخاصة القيادة الأمريكية.

كيف استطاع كسينجر إجهاض هذا النجاح؟

* كيف يجب على الجانب العربي أن يُعدَّ ويخطط لإدارة هذا الصراع، خاصة وأن الطرف الإسرائيلي يؤمن بأن الحرب قادمة، وأنه لابد من الصدام العنيف.

* من العبث الحديث عن قوى متعاطفة مع الجانب العربي، وجميع القوى الدولية تسهم بشكل أو بآخر في تهيئة الجو لتستطيع إسرائيل أن تحقق أهدافها في المنطقة حتى أوروباً الغربية.

* إن جوهر الصراع هو في نهاية الأمر استئصال إسرائيل، يجب وضع حد للوجود التوسعي وأحلام بناء إسرائيل الكبرى، مهما كان أمر هذا الصراع، ومهما تحملنا من تضحيات.

* هذه هي بعض الملامح الرئيسية لمقالات الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع (الصراع العربي - الإسرائيلي) التي نُشرت في الصحف عام 1985، جعلناها في كتاب من جزئين يحمل رقم (الثالث) ضمن سلسلة (نحو وعى سياسى واستراتيجى وتاريخى).

والجزء الأول منه بعنوان : «إدارة الصراع العربي - الإسرائيلي».

ويتكون من خمسة فصول :

الفصل الأول : طبيعة الصراع .. وطبيعة التهديدات

المبحث الأول : المتغيرات .. وطبيعة الصراع

المبحث الثانى : طبيعة التهديدات

الفصل الثانى : دوائر الصراع .. واحتمال حرب أخرى

المبحث الأول : دوائر الصراع .. والأطراف المتقاتلة

المبحث الثانى : هل نعاصر حرباً أخرى من حروب الهيمنة؟

الفصل الثالث : إدارة الصراع .. ونماذج الإدارة

المبحث الأول : عملية إدارة الصراع وخصائصها

المبحث الثانى : نماذج إدارة الصراع العربي - الإسرائيلي

المحور الأول : نموذج الإدارة فى عهد عبد الناصر

المحور الثانى : نموذج الإدارة فى عهد السادات

المحور الثالث : تقييم لنموذجى عبد الناصر والسادات

المحور الرابع : نموذج الإدارة عند مناحيم بيغن

المبحث الثالث : ستة مبادئ صهيونية لم تتغير

الفصل الرابع : كيسنجر .. وتحقيق أهدافه

المبحث الأول : كيسنجر وسياسة الخطوة .. خطوة

المبحث الثاني : كيف حقق كيسنجر أهدافه ؟

الفصل الخامس : حول بناء نموذج عربي للتهامل

المبحث الأول : كيف يجب على الجانب العربي أن يعد ويخطط لإدارة الصراع؟

المبحث الثاني : أسلوب المواجهة العنيفة بالاستتصال

* أما الجزء الثاني من الكتاب الثالث ، فهو بعنوان : «كيف تفكر إسرائيل»

* وجهنا في هذا الكتاب هو جهد المؤرخ الذي يقوم بجمع الوثائق التاريخية وترتيبها وتبويبها، تمهيداً لإخضاعها للتقويم والتحليل واستخلاص النتائج، لعل الأمة (بل الإنسانية كلها) أن تستشعر الخطر الصهيوني الاستعماري على عقيدتها وديارها وثرواتها ونسلها.
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق/27).

جمال عبد الهادي مسعود

عبد الراضي أهين سليم